



الجامعة: جامعة محمد الأمين دباغين سطيف 02

الكلية: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: قسم علم الاجتماع



جامعة محمد لامين دباغين سطيف 2
Mohamed Lamine Debaghine Setif 2 University



بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته



DR. HACENE BOUSSERSOUB

2026 / 2025

02/04/2026



مقياس

النظريات السوسيولوجية الحديثة

استكشاف أُمم الإِتِجات والنماح لفهم المجتمع



الوحدة السادسة: الاتجاه الفينومينولوجي (الظاهراتية)

ضمن مقياس النظريات السوسولوجية الحديثة – موجّه لطلبة الجامعة والباحثين في علم الاجتماع

نظريات سوسولوجية حديثة

الفصل السادس



مقدمة: الإشكالية الكبرى

ما الذي يدرسه علم الاجتماع حقًا؟

طرح الفلاسفة وعلماء الاجتماع في القرن العشرين تساؤلات جوهرية حول طبيعة المعرفة الاجتماعية: هل يمكن دراسة الواقع الاجتماعي بمعزل عن الوعي الإنساني؟ وهل الحقائق الاجتماعية موجودة خارج ذهن الفرد؟ أم أنها بناءات تُشَيّد في التجربة المُعاشة؟

جاءت الظاهراتية (الفينومينولوجيا) كاتجاه فلسفي وسوسيولوجي يُجيب عن هذه الإشكالية الكبرى، مُقترحةً أن نقطة الانطلاق الحقيقية لفهم الإنسان والمجتمع هي التجربة الحية المُعاشة للذات، أي الكيفية التي يُدرك بها الفرد العالَم من حوله.

تُشكّل هذه الوحدة مدخلًا معمّمًا لفهم الأسس الفلسفية والمعرفية لهذا الاتجاه، ورصد إسهامات رواده الكبار، واستجلاء منهجيته البحثية ونقاط قوته وحدوده.

الإشكالية المحورية

كيف يبني الإنسان معنى الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه؟ وما دور الوعي والتجربة الذاتية في تشكيل هذا المعنى؟

محاور الوحدة

01

الأسس المعرفية والفلسفية للظاهراتية

02

إسهامات الرواد الكبار

03

المنهجية البحثية للظاهراتية

04

الانتقادات والحدود

الأسس المعرفية والفلسفية للظاهراتية

تقوم الظاهراتية على جملة من المرتكزات المعرفية التي تُميّزها عن التيارات الوضعية والبنوية الكلاسيكية في علم الاجتماع.

♦ الوعي أساس المعرفة

لا يمكن فهم الواقع الاجتماعي دون المرور عبر وعي الذات. كل معرفة هي معرفة لشيء ما من خلال الوعي. الظاهراتية لا تدرس الأشياء في ذاتها، بل كيف تظهر للوعي الإنساني – وهو ما يُعرف بمبدأ القصدية (Intentionnalité).

♦ المعنى بناء ذاتي وتفاعلي

الواقع الاجتماعي ليس معطىً موضوعيًا جاهزًا، بل هو نتاج عمليات مستمرة من البناء والتفسير يقوم بها الأفراد في تفاعلهم اليومي. وهذا ما يقترب من مفاهيم التفاعلية الرمزية لدى ميد وبلومر.

♦ العالم المعيش (Lebenswelt)

مفهوم جوهرية طوره هوسرل: هو عالم التجربة اليومية المُعاشة السابق على كل تجريد علمي أو فلسفي. إنه الأرضية الأولى لكل معرفة إنسانية، والمرجع الحقيقي لفهم السلوك الاجتماعي.

♦ نقد الوضعية والموضوعانية

ترفض الظاهراتية تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على الظواهر الإنسانية، لأن الإنسان كائن واعٍ وقاصد ومؤوّل لأفعاله، لا مجرد متغيّر خاضع للقوانين الفيزيائية.

♦ الإيبوخيه (Épochè) أو التوقيف

إجراء منهجي يقترحه هوسرل يقوم على تعليق الحكم المسبق على العالم الخارجي ("وضعه بين قوسين") للتركيز على الكيفية التي يظهر بها للوعي. وهو أداة أساسية في البحث الظاهراتي.

♦ الانتماء المعرفي

تنتمي الظاهراتية إلى المناهج الكيفية والتأويلية في العلوم الاجتماعية، وتقف في مواجهة الاتجاهات الكمية الوضعية، متقاطعةً مع الهرمنيوطيقا وعلم الاجتماع التأويلي لماكس فيبر.

❑ سؤال تفاعلي: حين تدخل قاعة الدراسة لأول مرة، ما الذي تُدرّكه أولًا – المكان المادي أم المعنى الاجتماعي الذي تُضيفه عليه؟ هذا هو جوهر السؤال الظاهراتي!

رواد الظاهراتية: مدرسة فكرية عظيمة

أُسست الظاهراتية تيارًا فكريًا رفيحًا امتدَّ من الفلسفة إلى علم الاجتماع، وساهم في بنائه عقول من الطراز الأول.



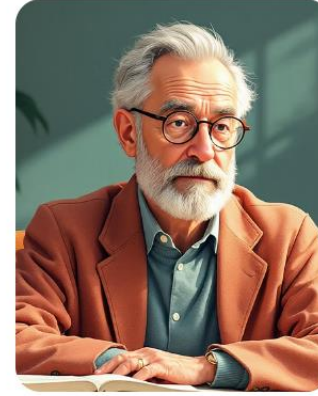
موريس مرلو-بونتي (1908-1961)

فيلسوف الجسد والإدراك. أعاد الاعتبار للجسد بوصفه مركز الإدراك والتجربة، رافضًا الثنائية العقل-جسد الديكارتية. مفهوم "الجسد المُعاش" (Corps vécu) أحدث ثورة في فهم العلاقة بين الإنسان والعالم.



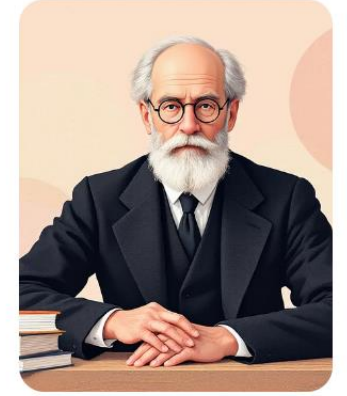
مارتن هيدغر (1889-1976)

فيلسوف الوجود والوجود-في-العالم. طوّر الظاهراتية نحو الأنطولوجيا الوجودية. مفهوم Dasein (الكينونة-هناك) محوري في فكره، إذ يرى أن الإنسان لا يُفهم إلا في سياق وجوده المُجسّد في العالم.



ألفريد شوتز (1899-1959)

مؤسّس الظاهراتية الاجتماعية. نقل أفكار هوسرل إلى علم الاجتماع، وطوّر مفهوم "المخزون المعرفي اليومي" و"نمط الحياة اليومية". ربط الظاهراتية بالفهم الفيبري، وأثر في بيرغر ولوكمان.



إدموند هوسرل (1859-1938)

مؤسس الظاهراتية. طوّر مفهوم القصدية والإيبوخيه والعالم المعيش. رأى أن الفلسفة يجب أن تعود إلى "الأشياء ذاتها" من خلال تحليل الوعي الخالص. أعماله الكبرى: الأبحاث المنطقية وأفكار متعلقة بظاهراتية خالصة.

عمق أكثر: إسهامات الرواد في السياق الاجتماعي

هيدغر ومرلو-بونتي: الوجود والجسد

هيدغر يرى أن الإنسان (Dasein) ليس مجرد ذات متألمة، بل كائن مُلقى في العالم، يعيش الزمان ويتفاعل مع الآخرين بصورة أصيلة أو مُزَيِّفة. مفهوم "الكينونة-مع" (Mitsein) يُقرّ بأن الوجود الإنساني دائماً اجتماعي في جوهره.

مرلو-بونتي يُعيد تأسيس معرفة العالم على أساس الجسد لا العقل المجرد: نحن لا "نمتلك" أجساداً، بل "نكون" أجساداً. التجربة الحسية واللمس والحركة هي بوابات الفهم الأولى. هذا الطرح يفسّر لماذا تعلّم المهارات الاجتماعية (كالتحية والجلوس في مجلس) يتمّ جسدياً قبل أن يكون ذهنيّاً.

مثال تطبيقي: في المجتمع الجزائري، طقوس الضيافة (القهوة، قرص الخبز المنزلي) تُدرّك وتُمارَس جسدياً قبل أن تكون قواعد ذهنية مُصاغة – وهذا هو الجسد المُعاش عند مرلو-بونتي.

ألفريد شوتز والعالم الاجتماعي اليومي

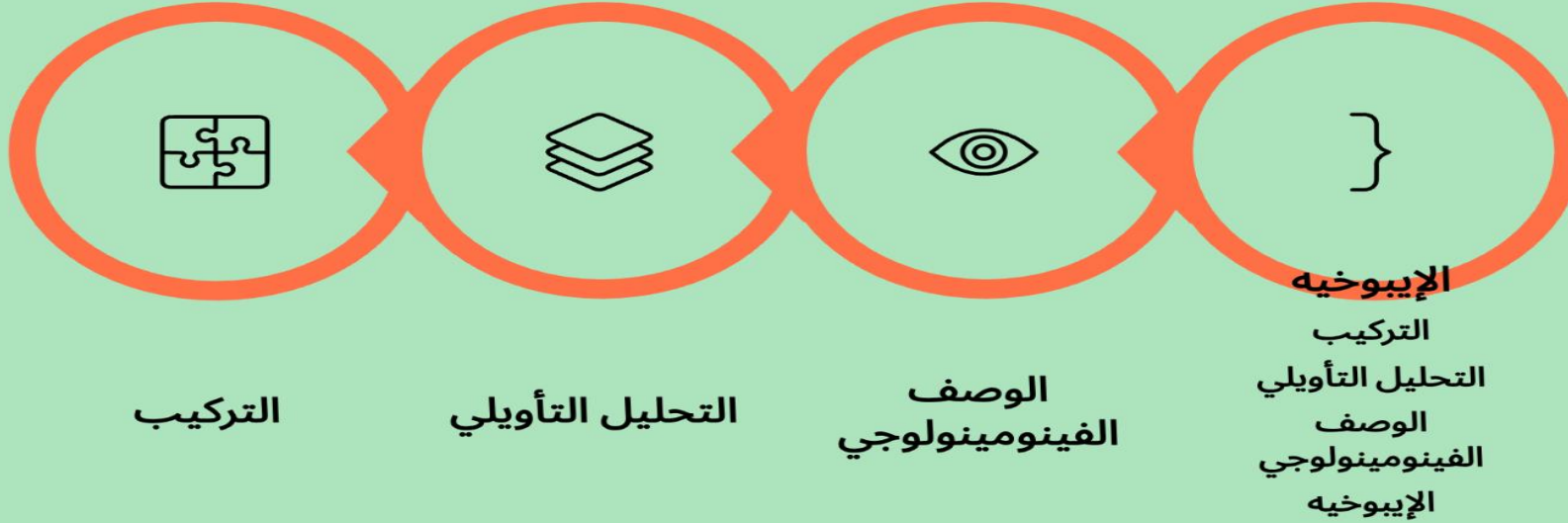
يُعدّ شوتز الجسر الحقيقي بين الفلسفة الظاهرية وعلم الاجتماع. في كتابه "ظاهراتية العالم الاجتماعي" (1932)، يُبيّن أن التفاعل الاجتماعي يقوم على التأويل المتبادل للمعاني. يُميّز بين:

- عالم المعاصرين (Contemporaries): تفاعل معهم وجهًا لوجه.
- عالم السابقين (Predecessors): من أثروا في واقعنا دون أن نلقاهم.
- عالم اللاحقين (Successors): من سيرثون عالمنا.

كما أضاف مفهوم "المخزون المعرفي" (Stock of Knowledge): مجموع الخبرات والتفسيرات المكتسبة التي يستخدمها الفرد لتأويل مواقفه اليومية. مثال جزائري: الطالب الجامعي الجديد يحمل "مخزوناً معرفياً" عن الجامعة مكتسباً من عائلته وأقرانه قبل أن يدخلها فعليّاً.

المنهجية البحثية وفق المنظور الظاهراتي

تتميز الظاهراتية بمنهجية بحثية خاصة تختلف جذريًا عن المناهج الوضعية الكمية. هدفها ليس قياس الظواهر، بل الكشف عن البنى الجوهرية للتجربة الإنسانية المُعاشة.



تنطلق الدراسة الظاهراتية من وصف تجربة المبحوثين كما يعيشونها، عبر المقابلة المتعمقة والملاحظة المشاركة، ثم الكشف عن الأنماط والبنى المشتركة.

مثال بحثي من السياق الجزائري

دراسة تجربة الهجرة الداخلية

باحث يدرس تجربة الشباب الجزائري المهاجر من الأرياف إلى المدن الكبرى (وهران، الجزائر العاصمة). بدلًا من قياس الأرقام، يسأل: "كيف تُدرك حياتك الجديدة في المدينة؟ ما الذي يبدو غريبًا؟ ما الذي اكتسبت معناه؟" هذا هو قلب البحث الظاهراتي.

❑ سؤال للتأمل: هل يمكن فهم ظاهرة الفقر الاجتماعي في الجزائر دون الاستماع إلى كيفية إدراك الفقراء لوضعهم وتأويلهم له؟

أدوات البحث الظاهراتي

→ المقابلة المتعمقة (In-depth Interview)

تسعى لاستجلاء كيفية إدراك الفرد لتجربته، لا لمجرد جمع المعلومات. الباحث يُرافق المبحوث في وصف تجربته بحرية.

→ الملاحظة المشاركة

غمر الباحث في الميدان لفهم المعاني من الداخل، مُعلِّقًا مسبقاته النظرية.

→ التحليل الموضوعاتي

استخلاص الموضوعات والبنى المشتركة في تجارب المبحوثين المختلفين.

الظاهراتية وعلم الاجتماع: مفاهيم محورية مُطبَّقة

الإثنوميثودولوجيا

امتداد للظاهراتية طوّره هارولد غارفينكل: دراسة الطرق والإجراءات التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية لإنتاج الواقع الاجتماعي. تجاربه "الاختراقية" كشفت القواعد الضمنية التي تُنظّم التفاعل دون أن يدركها أحد.

بناء الواقع الاجتماعي

بيرغر ولوكمان (في كتابهما الشهير 1966) يُطوّران مفهوم شوتز: الواقع الاجتماعي بناء بشري مستمر عبر التفاعل والتأويل والتعود (Habitualization) والتأسيس المؤسسي. المجتمع الجزائري مثلًا "يبنى" معنى الشرف والضيافة والعائلة عبر تفاعلات يومية متكررة.

الزمن والذاكرة الجماعية

تمنح الظاهراتية أهمية قصوى للزمن المُعاش (Temps vécu): الذاكرة، والتوقع، والحاضر الحي. في السياق الجزائري، يُمكن فهم كيفية إدراك أجيال مختلفة لتجربة الاستعمار والاستقلال كتجارب تُؤثّر على الهوية الحاضرة.


الصلة بالتفاعلية الرمزية

تتقاطع الظاهراتية مع أفكار جورج هيربرت ميد وهيربرت بلومر: كلاهما يُؤكد أن المعنى لا يُستخلص من الواقع الموضوعي، بل يُبنى في التفاعل الاجتماعي، وأن الفرد يتصرف بناءً على تفسيراته للمواقف لا استجابةً لمثيرات خارجية.

مقارنة: الظاهرية في مواجهة التيارات الكبرى

تموضع الظاهرية ضمن خريطة نظرية متنوعة؛ وفهم موقعها يُعزّز استيعاب خصوصيتها المعرفية والمنهجية.

المعيار	الظاهرية	البنوية الوظيفية (دوركايم/بارسونز)	الماركسية
وحدة التحليل	التجربة الذاتية المُعاشة، الوعي الفردي	البنى الاجتماعية الكلية، النظام الاجتماعي	الطبقات الاجتماعية، قوى الإنتاج
طبيعة الواقع الاجتماعي	بناء ذاتي وتفاعلي مستمر	حقيقة موضوعية خارجية وقسرية	نتاج الصراع الطبقي والتناقضات المادية
المنهج	كيفي، تأويلي، وصفي	كمي، مقارن، وظيفي	نقدي، تاريخي، جدلي
دور الفرد	فاعل واع ومؤوّل للمعنى	خاضع للأعراف والوظائف الاجتماعية	محدّد بموقعه في البنية الاقتصادية
نقاط القوة	فهم معمّق للتجربة الإنسانية	شمولية التحليل، الاستقرار الاجتماعي	نقد السلطة والتفاوت الاجتماعي
نقاط الضعف	صعوبة التعميم، ذاتية المعطيات	إهمال الفاعلية الفردية والتغيير	اختزال الواقع في البُعد الاقتصادي

ملاحظة منهجية: لا تتناقض هذه المقاربات بالضرورة – يُمكن توظيفها بصورة تكاملية في دراسة ظاهرة واحدة من زوايا متعددة. 

الانتقادات الموجّهة للظاهراتية

رغم إسهاماتها الجوهرية، تعرّضت الظاهراتية لجملة من الانتقادات الأكاديمية المشروعة التي يجب على الدارس استيعابها.

صعوبة التعميم والموضوعية

بما أنها تتمحور حول التجارب الذاتية الفردية، يصعب التوصل إلى نتائج قابلة للتعميم. يرى المنتقدون أن نتائجها تبقى محلّية السياق (Context-bound)، ولا يُمكن قياسها بمعايير صارمة.



إهمال البنى الاجتماعية الكلية

يؤخذ عليها تركيزها المفرط على الفرد والتجربة الميكروسوسولوجية، مُهملةً دور القوى الكلية كالسلطة والاقتصاد والطبقة. بورديو انتقدها لتغييبها ظروف الإنتاج الاجتماعي للوعي ذاته.



غياب البُعد النقدي والتحرري

تصف الظاهراتية الواقع كما يُدرّك دون نقده؛ وهذا ما يعيبه عليها الفكر النقدي (مدرسة فرانكفورت). يُمكن أن يتبنّى الأفراد وعيًا زائفًا بواقعهم، والظاهراتية لا توفر أدوات لكشف هذا الزيف.



مركزية الخطاب الغربي

نشأت الظاهراتية في السياق الأوروبي الغربي، ويرى بعض الباحثين أن مفاهيمها لا تُترجم دائمًا بدقة إلى السياقات الثقافية غير الغربية، كالمجتمعات المغاربية والعربية ذات الموروث الديني والقبلي الخاص.



تعقيد المنهج وشح الباحثين المُدرّبين

يتطلب البحث الظاهراتي تدريبًا فلسفيًا عميقًا ومهارات قابلة تأويل عالية، مما يجعله نادرًا في الأوساط الأكاديمية التي تفتقر إلى التأهيل المنهجي الكافي في هذه المقاربة.



خاتمة: الظاهراتية ومستقبل البحث الاجتماعي

المفاهيم الجوهرية للاحتفاظ بها

الإيبوخيه

تعليق الأحكام المسبقة

القصدية

الوعي دائمًا موجّه نحو شيء

الجسد المُعاش

مركز الإدراك والتجربة

العالم المعيش

أرضية كل معرفة إنسانية

"العودة إلى الأشياء ذاتها" – إدموند هوسرل الشاعر الذي لخص ثورة فلسفية كاملة.

نتائج تحليلية

ثورة في طريقة النظر إلى الواقع

أعدت الظاهراتية الاعتبار للإنسان بوصفه فاعلاً واعياً، لا موضوعاً سلبيًا. هذا التحول النظري أثرى علم الاجتماع بأدوات تحليلية للفهم المعمق لا يُتيحها البحث الكمي.

راهنية في البحث الاجتماعي المعاصر

تُوظف الظاهراتية اليوم في دراسة التجارب الصحية، والتعليم، والهجرة، والهوية الثقافية. في الجزائر، يُمكن توظيفها في فهم تجربة الشباب مع البطالة أو ظاهرة "الحراك" من الداخل.

تكامل لا إقصاء

الباحث الناضج يُدرك أن الظاهراتية أداة تحليلية لا عقيدة. توظيفها جنبًا إلى جنب مع المقاربات البنوية والنقدية يُنتج فهمًا أكثر ثراءً وشمولية للواقع الاجتماعي.

سؤال ختامي للنقاش: كيف يُمكن توظيف المنهج الظاهراتي في دراسة ظاهرة اجتماعية راهنة في المجتمع الجزائري؟ (مثال: تجربة الطالب الجامعي الأول في التعليم عن بُعد، أو تجربة المرأة في سوق العمل).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فالتبينا





والكلمة لكم للمناقشة والنقد والاستفسار
و الإضافة والسلام عليكم ورحمة الله.



نشكركم على متابعتكم
وعلى حسن استماعكم

Thank You !



02/04/2026



14